تحولات الخطاب النسوي بين المراوغة والتملك

(قراءة في الأنساق الثقافية في أدب المرأة القديم)

إعداد

إيمان عصام خلف كامل

المدرس بقسم الدراسات الأدبية

كلية دار العلوم – جامعة المنيا

تهدف هذه الدراسة المُصغَّرة المعنونة بـــ (تحولات الخطاب النسوي بين المراوغة والتملك، قراءة في الأنساق الثقافية) إلى قراءة أدب المرأة القديم في إطار النقد الثقافي الذي يَشكِّل فيه الأدب النسوي فرعًا مهمًّا من فروعه، وإذا كان هذا المنهج النقدي يتَّسم بحداثيته إلّا أن وعي المرأة بذاتها ظهر جليًا منذ عهود مُتقدمة ارتبطت بوجودها، وكانت لها مشاركات بالرأي والفعل في جوانب الحياة المختلفة، ولها إرادتها المُستقلَّة، وظهر وعيها واضحًا في كثير من القضايا السياسية والاجتماعية التي واجهتها، وأحسسنا بوجود هويتها في السِّلم والحرب، ويشهد النتاج الأدبي والنقدي الذي أبدعته المرأة على ذلك، فقد شكَّلت المرأة فيه بنية ذات أنساق ثقافية مارست من خلالها سُلطتها وقاومت محاولات الاستلاب والتهميش التي ظلَّت تُلاحقها ولا زالت. وقد انطلقت فكرة البحث في مُحاولة التقريب بين النص والمنهج، تمثَّل الأول في إبداع المرأة الأدبي في العصر الجاهلي، وقد جاء اختيار الباحثة تحديدًا لنصين أدبيين: أحدهما نثري يندرج ضمن أدب الوصايا وهو وصية (أمامة بنت الحارث) لابنتها (أم إياس)*، والثاني نصّ شعري قصير لـــ (أم ثَواب الهِزّانية) في ابن لها عاقٍّ.

ويُعزى سبب اختيار الباحثة لهذين النَّصين لأمرين: أولهما لِما يحملانه من مضامين أثيرة أسهمت بشكلٍ واضح في الكشف عن ملامح الخِطاب النِّسوي الثقافية في أدبنا القديم، والسبب الآخرً لارتباطهما بملامح بلاغية، جمالية، تأدبية، وعظية استندت في مُجملها إلى فيض حِكمي انبثق من تجارب واعية لصاحبتيهما، إضافةً إلى ما حمله النَّصّان من انفتاحات وتأويلات متعددة تسمح بإمكانية قراءات مختلفة لدى الناقد والقارئ تؤكِّد وجود قوة فاعلة ومُهيمنة للمرأة في إطار النسق الثقافي المُضمر في أدب المرأة في ذلك العصر.

---

* اسمها بالكامل (أم إياس بنت عوف بن مُحلَّم الشيباني) ، عُرِف عنها كمالها وقوة عقلها، ولمَّا علم (الحارث بن عمرو) ملك كندة هذا عنها أرسل امرأة من كندة تُدعى (عصام) لتتقصَّى أخبارها قبل أن يُقدم على الزواج منها، وذهبت المرأة إلى (أمامة بنت الحارث) وأعلمتها الخبر ، فاستدعت أمامة ابنتها لتنظر المرأة إليها، وقالت لها: أي بنية، هذه خالتك أتتك لتنظر إليك، فلا تستري عنها شيئًا، إن أرادت النظر من وجه أو خلق، وناطقيها إن استنطقتك .. قيل: فبعث إلى أبيها، فزوّجه إياها. قيل: فبعث إليها من الصَّداق بمثل مهور نساء الملوك مائة ألف درهم وألفا من الإبل، فلمَّا حان أن تُحمل إليه دخلت إليها أمها لتوصِّيها. لمعرفة المزيد انظر: جمهرة الأمثال ١/ ٥٦٩– ٥٧١، رقم ١٠٧٣.

بينما تمثَّل المنهج النقدي المُتبع في تحليل النَّصين في تلك القراءة الحداثية للأنساق الثقافية في خطابي المرأتين، ومن خلال هذا المزج بين النَّص والمنهج يُمكن طرح رؤية نقدية أزعم أنها تكشف عن تلك الأنساق الثقافية في كتابات المرأة في عصر ما قبل الإسلام، ولا غرو أن هذه الأنساق مُتعدِّدة الجوانب كثيرة الملامح، ولِذا فقد ركَّزت الباحثة حديثها على الأنساق المضمرة التي سعت من خلالها المرأة في خفاء إلى الهيمنة والتَّملك عبر خطاب أدبي مُراوغ يُناهض في باطنه فكرة التهميش في إطار تقاطبية (الهامش/ المركز)، ويرفض مبدأ التمايز الجنسي أو الهيمنة الذكورية وِفقَ ثنائية (المذكر والمؤنث)، ويسعى متواريًا لترسيخ ثقافة السيطرة في إطار نسقي (اللّين والمراوغة) بهدف الاستحواذ والسيطرة أحيانا، وأحيانا أخرى في إطار ثقافة (الرفض والمقاومة) وهذا ما سيكشف عنه الجانب التطبيقي إبان تحليل النَّصين، وبالرَّغم من الإقرار بِسمة البحث التطبيقية؛ إلَّا أن السياق استدعى ضرورة وجود مدخل نظري يتضمَّن إطلالة نقدية موجزة حول نقاط عدَّة تُسهم في الكشف عن ثقافة المرأة وثقافة المجتمع الذي عاشت فيه، وكيف نظر المجتمع لكتابات المرأة قديمًا؟ وأهم الموضوعات التي تطرَّقت لها المرأة في كتاباتها، كذلك ضرورة التَّعرّف على آلية المنهج المستخدمة في التَّحليل (الأنساق الثقافية) وذلك للكشف عن البنية الثقافية العميقة للنصين موضع الدراسة وِفق هذه القراءة مُراعية في ذلك الإيجاز والابتعاد عن التغريب المُصاحب للمصطلح.

أولًا المدخل النظري:

(أ) مفهوم المرأة بين الإيجاب والسلب في المجتمع القديم:

اختلفت نظرة المجتمع حول مفهوم المرأة ودورها في المجتمع القديم، فبعضهم من نظر إليها نظرةً دونية مُهمِّشًا دورها مُستصغرًا شأنها خضوعًا للثقافة السائدة وقتها وتأثير العصبية القَبلية التي انحازت جملة وتفصيلًا للذكر، فإليه تُنسب القبيلة فهو المسئول عن حِمايتها والذَّود عنها إمَّا بسلاحه لو كان فارسًا، وإمَّا بلسانه إن كان شاعرًا، وانسحب ذلك التمركز الذكوري إلى ساحة الأدب ليظل المذكر هو الأصل دائما وله السبق، وهذا باعتراف النقَّاد والأدباء وعلماء اللغة، فالمتأمل في رسالة النساء للجاحظ يلاحظ هذا الاستلاب الذي تعرَّضت له المرأة، فيقول في بدايتها: " ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل: إن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو أكثر، ولكنا رأينا أُناسًا يُزرون عليهن أشد الزراية، ويحتقرونهن أشد الاحتقار، ويبخسونهن أكثر حقوقهن"([1]) فهو يُقرُّ في حُكمه الانطباعي بأن الرجال أعلى درجة من النساء ربما بطبقة أو بطبقتين، وانسحبت هذه السلطة الذكورية كذلك لِتُمثِّل المركز في مُحيط اللغة وذلك في شأن تذكير المؤنث، فيقول (ابن جنِّي): إن هذا الأمر كثيرٌ جدًا " لأنه ردٌّ إلى الأصل"([2]) فالتذكير في اللغة أصل بالرَّغم من أن لفظة اللغة مؤنَّثة، وهكذا نُظِرَ إلى المرأة في الحضارات القديمة وما تلاها من عصور فقد غَدت المرأة كائنًا ثقافيًا مبتخسًا بسبب فكرة التمايز الجنسي، ففي المجتمع اليوناني قديمًا تمايزت الذكورة على الأنوثة وخير شاهد على ذلك التهميش وصية (كربون) لابنه في مسرحية (أنطقون) لـــ (سوفوكليس) بقوله "

١ – الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤، ١٥١/٣.

٢ – ابن جنِّي: الخصائص، تحق: محمد علي النجَّار، دار الكتب، ١٩٧٥، ص ٤١٥/٢.

يجدر بالمرء أن لا تلين له قناة أمام امرأة في أي شأن من الشئون، بل من الأفضل له أن يطاح به من الحكم على يد رجل، وبذا لن يسع أحد أن يدعي أننا هزمنا على أيدي النساء"([1])

ففي المقتبس السابق وما سبقه من حديث (الجاحظ) و(ابن جنّي) يُلاحظ التوسيع المُطلق لسلطة الذكر الذي يُمثِّل المركز وتهميش بل محو سلطة الأنثى في إطار فكرة التجنيس. ولا يُنكر أحدٌ الامتهان الذي تعرَّضت له الأنثى في بعض الأُسر الجاهلية في بيئة العرب، ومن أفظع مظاهره وأد الفتيات أحياء خوفًا من العار الذي يلحق بالأسرة التي ربَّما قد تعجز عن حِمايتهن والدفاع عنهن أو لا تستطيع الانفاق عليهن في مجتمع لا يعترف إلا بقوانينه وأعرافه الخاصة، فكانت الأم " إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإذا ولدت ولداً حبسته"([2]) وقد أشار القرآن صراحة إلى هذا الفعل الإجرامي و ندّد به في قوله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(النحل: ٥٨) إضافة إلى صور النكاح المخالفة التي انتشرت في الجاهلية ومنها نكاح البدل، ونكاح الاستبضاع ¥ إضافةً إلى ذلك حرمانها من الميراث بل صارت هي نفسها إرثًا يؤول لأبناء الرجل بعد وفاته، وبالطبع لا يُمكن تعميم هذا الحُكم على كلِّ النساء إذ إن بعضهن كنَّ ينتمين إلى طبقة الحرائر ونشأن في قبائل ذات نفوذٍ وسيادة في المجتمع وكنَّ يُستشرن في أمر زواجهن، وليس أدلّ على ذلك من قول (هند بنت عتبة) لأبيها " إنى امرأة قد ملكت أمرى ، فلا تزوجنى رجلاً حتى تعرضه على .. قال : ذلك لك" ومثلما اختارت السيدة (خديجة) (رضي الله عنها) سيدنا محمد (صلَّى الله عليه وسلم) زوجًا لها. والبعض الآخر من النساء كنَّ إماءً أو جواري مُضطهدات، وهؤلاء هن الأكثر تعرُّضًا للانتهاك والاستلاب الاجتماعي والثقافي.

وهناك نظرة أخرى إيجابية ترى أن المرأة العربية صارعت الرجل في المنزلة ولم تُنتقَص حقوقها، وتكاد هذه النظرة أن تكون الأرجح عن سابقتها، فالمرأة من الوجهة الاجتماعية الزوج الوفي، والأم العطوف، والزوجة الحانية، وشيّدت المرأة المجتمع بعدما وصلت لأرقى المناصب السياسية، وليس أدلّ على ذلك من قصة (بلقيس) صاحبة مملكة سبأ وقصتها شهيرة في القرآن، وكذلك (الزباء بنت عمرو/الملكة زنوبيا) ملكة (تدمر)، وهناك سيدات كُثُر تربعن على عرش مصر في عهد الفراعنة، وصار بعضهن أسطورة تناقلتها الأجيال وضُرِب بها المثل في قوة البصر والبصيرة (زرقاء اليمامة) التي اتّخذ الشعراء من سيرتها رموزًا متعددة لأحداثٍ سياسية متنوِّعة، وقد نالت المرأة قِسطًا وافرًا من الحديث أبدعه خيال الشعراء، فصاغوا لها صورة فنية بارعة الجمال شكَّلوا مفرداتها من عناصر البيئة، وارتبط

---

١ – نقلًا عن د/ عبد الله محمد الغذامي: المرأة واللغة، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٦، ص ٢٨.

٢ – محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص ٤٣.

¥ تتشكل ملامح هذا النكاح بعد أن يجبر الرجل زوجته بعد طهرها من طمثها لتستبضع من سيِّدٍ آخر مشهورٌ بالشجاعة والخلق ليحمل وليدها صفات هذا السيد، أما الزوج الأصلي فيعتزلها حتى تفرغ من حملها، لمعرفة المزيد انظر: محمد جميل بيهم: المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت، ١٩٢١م، ص ٧٢.

وجودها بوجود الحياة، فقد جاءت صورتها عند هؤلاء استثناءً من الانتقاص الثقافي الذي ترسَّخ في الأذهان عنها، إضافة إلى أن ذكرها في الشعر – لا سيَّما – عند أصحاب المعلَّقات يُعزِّز من الهيمنة الفحولية للذكر فـــ " التشبيب بالنساء وملاحقتهن، كان من أمارات الرجولة عند الجاهليين"([1]) فلا عجب أن يتشبَّبوا بهن وأن تصبح المرأة مصدرًا لغوايتهم وأن يبكوا الديار لرحيلهن وتتصدَّر أسماؤهن مقدماتهم الطللية، فهو نوعٌ من التشريف لهن ويحمل اعترافًا بعلو منزلتهن وقدرهن عندهم. وهكذا وجِدَت نظرتان للمرأة إحداهما تضعها في مرتبة دونية، والأخرى تُعلي من شأنها، وللتوفيق بين النظرتين يُمكن القول: " إن المتتبع لوضعية المرأة، في المجتمعات الإنسانية، عبر العصور السحيقة القدم، يواجه بالحقيقة التي مؤداها أن الوضعية الدونية لها، أو اعتبارها الجنس الّثاني، لم يكن هو الأصل، حيث تشير الكتابات التاريخية، والاجتماعية، والأنتروبولوجية المختلفة، إلى أنه كانت للمرأة في التاريخ القديم، وضعية متميزة، وضعتها في مقام الصدارة والقدسية "([2])

ولا يُمكن تجاهل دور الديانات السماوية باعتبارها نسقًا ثقافيًا ذات سلطة سماوية عليا في التعزيز من شأن المرأة عامة، فإليها يعود الفضل في إنصاف المرأة وأعلت من قدرها وأعطتها حقوقها كاملة. فقد خصَّ الإسلام المرأة بحُسن الرعاية وكفل لها من الحقوق الكثير والكثير.

(ب) نظرة المجتمع لكتابات المرأة قديمًا:

لم تكتفِ المرأة بحضورها مهمشة أو حتى فاعلة في خطاب الآخر الذكوري، بل أصبح لها صوت مسموع في ساحة الأدب وشهرة واسعة اعترف بها النقَّاد لبعضٍ منهن، وذكر صاحب كتاب (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) في ذلك الشأن قوله: " كان في نساء العرب أيام الجاهلية ذوات كمالٍ، ووفور معرفةٍ، ومزيد فطانةٍ وذكاءٍ، وحِدَّة نظرٍ، حتى تزينتْ بذكر مآثرهنّ صحف التواريخ، وقد دُوِّنتْ كتبٌ ودواوين مشهورة في شعرهنّ وفصاحة كلامهنّ، وكانتْ منهنّ جملة اشتهرنَ بإصابة الحكم، وفصل الخصومات وحسن الرأي في الحكومة منهنّ: ابنة الخُسّ "(٣).

وممَّا ذكره (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد) عن مكانة (الخنساء) و(ليلى الأخيلية) الشعرية قوله: " وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما، متقدمتين الفحول، ورب امرأة تتقدم في صناعة، قلما يكون ذلك"([4]) ويلاحظ هنا مدى

---

١ – محمد عزة دروزة تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، الجزء الخامس، بيروت، د.ط. ١٩٦١م، ص ٢٨٣.

٢ – شادية علي قناوي: المرأة العربية وفرص الإبداع، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠، ص ١٥.

٣ – محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، – شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ج ١/٣٣٨– ٣٣٩.

٤ – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : الكامل في اللغة، والأدب تحق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص٣٦٣.

الاستلاب الثقافي الذي تضمَّنه الحُكم الانطباعي في لفظتي (وربَّ، قلَّما) اللتين توحيان بالقلَّة والغرابة في الأمر بالرغم من الاعتراف الصريح بتفوق الشاعرتين، أمَّا عن نتاج المرأة الأدبي فقد كان قليلًا إذا ما قورن بشعر الرجل وقيِّمًا إبداعيًا لا يقلُّ أهمية عن شعر الفحول، هذا بالنظر إلى ما وصل إلينا ممَّا تضمَّنته مصادر التراث الأدبي* التي أولت أدب المرأة عناية كبيرة؛ لكنَّ نظرة المجتمع لكتاباتها لم تحظَ بقدرٍ وافرٍ من الاهتمام قديمًا؛ بالرَّغم من قلَّة أشعارها وذلك لأسباب متعددة ارتبطت بالثقافة السائدة وقتها، منها:

١- فكرة التجنيس التي اُتُخذت معيارًا للتفاضل بين الأدب الذكوري والأدب النسوي، فقد صارت الفحولة مركزًا ثابتًا وعلامة فارقة تُميِّز شعر الرجل عن الآخر الأنثى، بينما صارت الأنوثة هامشًا ومظهر ضعفٍ يُعيب شعر المرأة، وعلى صاحب المركز أن يُدافع عن عرينه في التَّسيُّد والصدارة، ولِما لا والشعر في تصوُّرهم كما يذكر صاحب جمهرة أشعار العرب أن (الشعر شيطان ذكر – كما يقول أبو النجم العجلي– وهو جمل بازل – كما يقول الفرزدق)([1]) هكذا ترسَّخت ثقافة الفحولة لِتشمل ساحة الأدب، فالشعر إمَّا شيطان/ذكر/مركز/صاحب هيمنة، وإمَّا جملٌ بازل على حدِّ وصف الفرزدق أي ناضج مكتمل البنية يصلح أن يكون طعامًا ليس لأحد سِوى الفحول "وليس للأنثى بوصفها كائنا ناقصًا أي نصيب من لحم الجمل أو من همسات شيطان الشعر، فالجمل ذكر منحاز إلى جنسه من الذكور والشيطان لا يجالس إلا الفحول لأنه ذكر وليس أنثى"([2]). وانسحب هذا الاعتقاد الذي يُرسِّخ من مبدأ الفحولة فيما تَلَى ذلك من عصور، ودفع هذا الفكر الثقافي بعض النساء الشاعرات إلى أن يلصقن بأنفسهن صفة الذكورة لتكون على درجة متساوية من الفحولة مع معارضيها، مثلما فعلت الشاعرة (نزهون المخزومية) مع الشاعر الأندلسي (الأعمى المخزومي) في أبياتها التالية:

قل للوضيع مقالًا يُتلى إلى حين يُحشَر

خلقت أعمى ولكن تهيم في كل أعور

جازيت شعرًا بشعر فقل لي لعمري من أشعر

إن كنت في الخلق أُنثى فإن شعري مذكَّر(٣)

---

* من هذه المصادر: (بلاغات النساء) لـــ (ابن طيفور)، و(العمدة) لابن رشيق القيرواني، وخزانة الأدب للبغدادي، كتاب (الأغاني) لـــ (أبي الفرج الأصفهاني)، وكتاب (العقد الفريد) لـــ (ابن عبد ربه)، وكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ، وديوان (الحماسة) للمرزوقي وغيرها.

١ – أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٧٨، ص ٢٤.

٢ – د/ عبد الله الغذَّامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥، ص ١٢.

٣ – ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ، ج١، تحق/ عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤ ، ص ٢٤٦.

وبالرَّغم من هذا الاستلاب الذي تعرَّضت له المرأة ثقافيًا إلّا أن بعضهن نلن شهرة واسعة أمثال (جليلة بنت مرة، والخنساء التي بلغت من الفصاحة والبيان والشهرة ما أهلها لأن تقوم بالتحكيم بين كبار الشعراء المتنافسين)([1]) متحدية التقاليد الاجتماعية التي عزَّزت من فكرة الجنوسة، وناهضت تلك الثقافة السلبية التي قلَّصت من ذيوع نتاجها الأدبي " فأبدت تجاوبًا ملحوظًا، وقامت بمشاركة الرجال في أدبهم مؤثرة فيه ومتأثرة به، فنقلت عنهم ورووا عنها، ونظمت الشعر، وأجادت الغناء، فبعثت في أدبنا العربي منذ فجر نهضته حياة زاخرة بالقوة على تعاقب العصور واختلاف البيئات"([2]) وصار بعضهن شاعرات ناقدات وكنَّ حكمًا وموضع فصلٍ بين الشعراء أمثال (أم جندب) التي حكمت لـــ (علقمة) بالسبق على زوجها (امرئ القيس) ، ومن ذوات الرأي والجزالة ممَّن اُشتُهرن من النساء (الجمانة بنت قيس) التي استطاعت بفضل بيانها أن تفصل بين أبيها (قيس بن زهير) وعمه (الربيع بن زياد) في قصة درع حسن يُسمَّى (ذات الفضول) كان (الربيع) قد استلبه غصبًا من (قيس) فقالت لجدها (الربيع) " إنك قد ظلمت قيسًا بأخذ درعه وأجد مكافأته إياك سوء عزمه، والمعارض منتصر والبادي أظلم .. والسلم أرخى للبال وأبقى لأنفس الرجال وبحق أقول لقد صدعت بحكم وما يدفع قولي إلا غير ذي فهم، وأنشأت تقول:

أبي لا يرى أن يترك الدهَر درعهَ ... وجدي يرى أن يأْخذ الدرع من أبي

فرأى أبي رأْي البخيل بماله ... وشيمة جدي شيمة الخائف الأبي (٣)

يتَّضح من الخبر السابق أن المرأة تُمثِّل شريكًا اجتماعيًا وسياسيا فاعلًا في المجتمع، ولها سلطة الفصل في المنازعات، وامتلاك صنع القرار، ويُشير هذا التوجه الأنثوي إلى خلخلة مفهوم الفحولة الذكوري المتعارف عليه لتصير القوة والهيمنة بيد الأنثى عبر ما يتضمَّنه الخطاب من أنساق ثقافية مُراوغة تهدف إلى انتزاع السلطة الأبوية.

٢- السبب الثاني وتمثَّل في طبيعة المجتمع التي ضيَّقت على النساء دورهنَّ الأدبي والثقافي في المجتمع في مقابل الاعتزاز بالشاعر الذي يُعدُّ صوت القبيلة المدافع عنها الهاجي أعداءها، "ولذلك يُسمُّون الشعراء "أظفار العشيرة" والمرأة لا تصلح ظفرًا ولا نابًا ولا تحسن أن تمضغ لحوم الأعداء في هجائها، ولا أن تأتي بالكلام الذي تترقرق فيه

---

١ - جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م،ج٤، ص٦١٦-٦٢٠.

٢ - ا.د/ عصام خلف: أدب المرأة العربية، رؤية سيسيولوجية، دار فرحة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ١٠.

٣ - أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل ابن طيفور: بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام، ط١، تحق: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ٢٠٠٨م.، ص ١٢٦.

دماؤهم، ثم هي نفسها جزء تقع عليه الخصومة بينهم، وفيها أكثر المعاني التي يستبون بها"([1]). وكان لهذا النسق الثقافي المُعادي أثره في تحجيم دور المرأة أدبيًا وثقافيًا في مواضع كثيرة.

٣- يُعزى قلَّة نتاج المرأة الأدبي لارتباط تاريخها بتاريخ الحروب، وهذا ما يؤكِّده صاحب كتاب (تاريخ آداب العرب) بقوله " فكانت المرأة العربية كأنها طبيعة من طبائع النقمة؛ إذ لم تكن إلا عِرضًا يُحمى بالسيف أو عِرضًا يُسلَب بالسيف .. وإن كانت أمًا لم تلد إلا قاتلًا أو مقتولًا، فهي في الأولى يتصل بها تاريخ القتلى من أهلها، وفي الثانية تتصل هي بتاريخ القتلى من ذويها؛ فمن ثم انصرفت عن الشعر إلا في أخص شئونها"([2]).

(ج) الموضوعات المهمَّة التي تطرَّقت إليها المرأة:

ظهر إبداع المرأة الأدبي في فترة ما قبل الإسلام من الوجهة الثقافية مُناوئًا في مُعظمه لفكرة الهيمنة الذكورية، وما يعنينا في هذا المقام ذلك النتاج الأدبي الذي تظهر من خلاله شخصيتها المستقلَّة دون التبعية المطلقة للرجل، فهناك شواهد شعرية عديدة تعود إلى تلك المرحلة تؤكِّد فكرة الصراع بين الهامش /المركز أو بين المرأة/الرجل، وحينما نتحدَّث عن الأغراض أو الموضوعات التي تناولتها المرأة في أدبها لابد من النَّظر في ثقافة المجتمع التي أثَّرت بالطَّبع في ثقافة المُبدع و" الاحتكام إلى ما يحيط النص من ظروف، ووقائع، وتفاصيل حياة تخص المبدع يُسهم في إضاءة مغاليقه ودلالاته"([3]). وقد ركَّزت هذه الموضوعات على تجربة المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية مُناهضة لنظرة المجتمع الدونية لها، والتقليل من دورها في المجتمع، والسخط على بعض الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي قلَّصت من حريتها وانتقصت من إرادتها، واكتفت الباحثة بذكر شاهدين شعريين فقط من الشواهد الشعرية التي تناولتها المرأة قديما لترك مساحة وافية للحديث عن الجانب التطبيقي، أولهما: تُطلُّ منه نزعة الاغتراب الاجتماعي والنفسي والشعور بالحنين إلى موطن الأهل، مثلما أفضت (أم موسى الكلابية) بمشاعرها الملتاعة في أبياتها التالية، وكان أبوها قد زوجها (أبو حيان) وارتحلت مع زوجها إلى حُجر (اليمامة) من بلاد اليمن، فقالت:

قد كنت أكره حُجرًا أن أعيش بها وأن أعيش بأرضٍ ذات حيطانِ

يا حبذا الغَرَقُ الأعلى وساكنهُ وما يتضمن من مال وعيدانِ

أبيت ارقب نجم الليل قاعدة حتى الصباح وعند الباب عِلجان

---

١ – مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج٣، دار الجوزي للطباعة، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٩م، ص ٤٠.

٢ – مصطفى صادق الرافعي: مرجع سابق، ص ٤٠.

٣ – إحسان عليوي عبد الحسين عجلان: الصورة في الشعر النسوي الجاهلي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، ٢٠١٧م ، ص ٢٠.

لولا مخافة ربي أنه يعاقبني لقد دعوت على الشيخ ابن حيَّان (١).

يلاحظ من قراءة الأبيات تسرُّب نسق ثقافي مضمر يسعى إلى الاستقلالية الأنثوية بسبب الشعور بعدم التآلف الاجتماعي ويقف على الضِّد من فكرة تسلُّط النَّسق الأبوي، وتوجد " شواهد لا تنحصر في النماذج الشعرية النسوية العائدة إلى تلك المرحلة تدل على أن الفارق بين ما هو مؤنث وما هو مذكر منصهر في بوتقة الموضوع الذي تعالجه القصيدة، ليستحيل إلى مضمون أدبي انزاح من وسطه الاجتماعي إلى وسط لغوي تراجعت فيه علامات التمايز الجنسي"(٢) ويظهر ذلك الانصهار جليًا في نماذج أخرى من أشعارها: شعر المساجلات الشعرية عبر الهجاء اللاذع بين الأزواج والزوجات، مثل تلك المساجلة التي دارت بين (حميدة بنت النعمان بن بشير بن سعد) و(روح بن زنباع) وكانت تحته "فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جذام وقد اجتمعوا عنده فلامها فقالت وهل أرى إلا جذاماً فوالله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام فهجاها روح بقوله: (٣)

أتثني عليَّ بما علمت فإنني مثن عليك بئس حشو المنطق

فقالت أثني عليك بأن باعك ضيق وبأن أصلك في جذام ملصق

فقال اثني علي بما علمت فإنني مثن عليك بنتن ريح الجورب

فقالت فثناؤنا شر الثناء عليكم أسوى وأنتن من سلاح الثعلب

وقالت فهل أنا إلا مهرةٌ عربية ليلة أفراس تحللها بغل

فإن نتجت مهراً كريماً فبالحري وإن يك أقراف فمن قبل الفحل

تحضر المرأة في الأبيات السابقة منفعلة، مُتحرِّرة بل منفلتة عن نسق التقاليد المتعارف عليها والنموذج الثقافي السائد، فلم نعُد نرى البُعد القيمي الجمالي والسلوكي الذي اعتدنا رؤيته ملازمًا للمرأة، حيث تُمثّل الزوجة فيه نموذجًا للأنثى المهيمنة المُعتدَّة بذاتها التي تسعى لهدم النَّسق الفحولي/الزوج، فالذات الشاعرة هنا تتراءى بقوة باعتبارها " مفتاح لذات تحضر بنص عميق الانغراس في التاريخ، تريده مستقلًا، أو خالص النوايا وبإغوائه الأنثوي تقترح

---

١ – بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٣٤م ، ص ٨٩.

٢ – أحمد علي محمد: الخطاب النسوي ومشكلة السياق الأدبي، شعر الجاهليات نموذجا، مجلة جذور، ج٢٨، مج ١١، ٢٠٠٩م، ص ١٢٨.

٣ – أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء في محاسن الشعر وآدابه، تحق/أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م، ص ٩٦.

تصميمًا مضادًا لعالم مغاير"([1]) فغرض الهجاء في الأبيات يقوم على فكرة الإطاحة بالنموذج الفحولي/الزوج ومحو سيطرته وإظهار مثالبه عبر استنفار أنثوي متصارع لهدم نفوذ الزوج بعدما صارت بؤرة مركزية مهيمنة ومتسلِّطة.

(د) مفهوم النَّسق الثقافي:

إن الثقافة تعني في ماهيتها على حد تعبير (إدوارد تايلور) " ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معين"([2]) ويُعدُّ النقد الثقافي (Cultural criticism) آلية فاعلة في الكشف عن جوانب النَّص المضمرة في الخطاب؛ وذلك لانفتاحه على مجالات معرفية عديدة واعتماده على آليات وتقنيات إجرائية مستدعاه من مناهج نقدية سابقة عليه؛ ولِذا يُعرِّفه بعض النّقاد بأنه " فاعلية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحضة المساس به أو الخوض فيه"([3]).

أمَّا عن أدب المرأة/النقد النِّسوي فيعدُّ أحد اهتمامات النقد الثقافي المُهمَّة التي تتولَّى البحث في تشكلات صورة المرأة الثقافية وما يرتبط بفكرة الجنوسة ، ويعتمد النقد الثقافي بصورة أساسية على نقد الأنساق الثقافية المضمرة باعتبارها محاور مركزية يقوم عليها، ويُعرَّف النَّسق بأنه " نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلاً موحداً، وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها"([4]) فالثقافة تتكوَّن من مجموعة من الأنساق التي تتضمَّن الأفكار المتعارف عليها وكذلك مجموعة القِيم والأعراف السائدة والإيديولوجية الموجهة، وهذه الأنساق تفرض نفسها في النص وعلى المُبدِع ذاته، وعليه فإن النسق لا يأتي " وعياً يتمظهر عبر خطاب فاعل، ولغة تؤطر خطاب الفاعل أيضاً، بل هو ممارسة، لها خصوصيتها من التغلغل والتأثير والهيمنة في غفلة من الذات"([5])

---

١ – محمد العباس: سادنات القمر : سرانية النص الشعري الأنثوي، مؤسسة دار الانتشار العربي، لبنان، ٢٠٠٣، ص ٥.

٢ – دوني كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٧، ص ٣٠.

٣ – محسن جاسم الموسوي: النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص.١٢.

٤ – إديث كيرزويل: عصر البنيوية – من ليفي شتراوس الى فوكو، تر: جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد، العراق، ١٩٨٥، ص ٢٩١.

٥ – عبد الفتاح أحمد يوسف: قراءة النص وسؤال الثقافة – استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، عالم الكتب الحديث، اربد، جرارا للكتاب العالمي، عمان– الأردن، ط١، ٢٠٠٩، ص ٨٧.

و تتضمَّن الوظيفة النسقية نسقين متلازمين في النَّص، أحدهما مُضمَر والآخر مُعلَن، وتختص القراءة الثقافية بنصٍ ما إذا كان هذا النَّص يحظى بقراءة واسعة، ولابد أن تتوفَّر فيه الوظيفة الجمالية ليستحوذ على درجة كبيرة من الإعجاب، لأنه من خلال جمالية النّص يُمكن تمرير الأنساق الثقافية المُراد تحقيقها " مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى، الصريح منها والضمني، والتسليم بالقيمة الفنية وغيرها من القيم النصوصية التي لا تلغيها الدلالة النسقية، وليست بديلا عنها، بل إننا نقول أن هذه الدلالات وما يتلبسها من قيم جمالية تلعب أدوارا خطيرة من حيث هي أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسَّل بها لعمل عملها الترويضي"([1])

ثانيا التطبيق النقدي:

(أ) النموذج النثري، وصيَّة (أمامة بنت الحارث):

يُعدُّ أدب الوصايا من فنون الأدب الراقية الهادفة؛ لأن الموصي يتبنَّى من خلاله إيديولوجية محددة تُمكِّنه من تمرير ثقافة بعينها تُناهض أو تُساير ثقافة المجتمع وهذا ما تُشير إليه النظرية البراجماتية للفن (The pragmatic theory of art)، وإضافة إلى هذه الوظيفة النَّفعية للوصايا يُمكن النَّظر إلى الوظيفة النَّسقية المُتضمَّنة في الوصايا " وليس من شكٍّ أن كافة أنماط الاتِّصال البشري تضمر دلالات نسقية تؤثِّر على كلِّ مستويات الاستقبال الإنساني في الطريقة التي بها نفهم والطريقة التي بها نفسِّر"([2]) وغالبًا ما تأتي هذه الوصايا مُغلَّفة بسياج الجمال الإبداعي والإمتاع الفني في رحاب الوعظ والتربية؛ لأنها تصدر عن عاطفة جيَّاشة في إطار تجربة حياتية مُعاشة تحمل مضامين سامية وسِمات أخلاقية عالية. هذا عن المُعلَن الواضح في خطاب الوصايا، وقد يأتي غرض الموصي/الموصية غير مُعلَن صراحة/مراوغًا يهدف إلى تقويض ما هو معتاد ومألوف، أو بمعنى آخر نسقًا مضمرًا ضمن الوظيفة النَّسقية الموجهة للخطاب التي تتضمَّن الدلالة الصريحة والضمنية كلتيهما، فإذا كانت الوظيفة الشعرية من شأنها التأثير في جماليات اللغة فإن الخطابات الأدبية تضمُّ قيما نسقية مضمرة تستحق الاهتمام والاستقراء في إطار قراءة ثقافية للنصوص الادبية. ويُمكن القول: إن النَّص الأدبي في ضوء التحليل الثقافي (يتحوَّل إلى مضمرات ثقافية مجازية في إطار البُعد الكُلِّي للخطاب، وهي فاعلة ومُحرِّكة للخفي الذي يتحكَّم في كافة علاقاتنا مع أفعال التعبير وحالات التفاعل)([3]) ويُمكن قراءة هذه الأنساق المُضمرة في وصيَّة (أمامة بنت الحارث) لابنتها (أم إياس) قبل زواجها التي تقول فيها: " أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدبٍ، تركت لذلك منكِ. ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل. أي بنية: ولو أن امرأةً استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، لكنت أغنى الناس عنه. ولكن النساء للرجال خلقن، ولهنَّ خلق الرجالُ، أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجتِ، وخلَّفت العُشَّ الذي فيه درجتِ، إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيهِ. فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أَمَةً يكن لك عبداً وشيكًا. يا بنية: احملي عنِّي عشر خصالٍ، تكن لك ذخراً وذِكرًا: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة. والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه. فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشمُّ منك إلا أطيبَ ريحٍ. والكحلُ أحسنُ الحسنِ الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود.

---

١ – د/ عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، سابق، ص ٧٨.

٢ – د/ عبد الله الغذَّامي: النقد الثقافي، نفسه، ص ٦٥.

٣ – انظر د/ عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، مرجع سابق، ص ٦٩.

والتعهد لوقت طعامِه، والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارةَ الجوع ملهَبَةٌ، وتنغيصَ النومِ مغضبةٌ. والاحتفاظ ببيته وماله، والإرغاءُ على العيالِ والحَشَمِ حُسنُ التدبير، ولا تفشي له سرًا، ولا تعصي له في حال أمرًا؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدرَهُ، وإن عصيت أمرَه أوغرتِ صدره. ثم اتقي يا بنية الفرح لديه إذا كان تَرِحًا، والاكتئابَ عنده إذا كان فَرِحًا، فإن الخَصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا يكن أشد ما يكون لك إكرامًا. وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة. واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببتِ وكرهتِ، والله يَخِير لكِ"([1])

يُلاحَظ من خلال القراءة المُتعمِّقة لنص الوصية السابق أن خطابها إضافةً إلى جماليته المُتضمَّنة في الدلالة الصريحة يتضمّن عدَّة أنساق أخرى مُضمرة تتَّسم بالمُراوغة ومضادة لِما هو مُعلَن، أو بتعبير أكثر دقَّة أنساق متوارية ثقافيًا تسعى إلى التَّملك والسيطرة الأنثوية والتَّفلُّت من سطوة الهيمنة الذكورية، وتتأتَّى هذه المراوغة عبر الوظيفة النسقية من خلال تعارض الأنساق الثقافية، والتي يُمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنساق رئيسية تنبثق منهما عدة أنساق فرعية كالتالي:

١- **جماليات الصراع/الضدّ**: ويضمُّ نسق (القِيمة)، نسق الجماعة (المجتمع)، نسق (الفرد).

(أ) **نسق (القِيمة)**: إن ما تقصده الباحثة من نسق القيمة العمق الثقافي المُحرِّك للوصية أو القيمة الإيديولوجية التي يتبنَّاها مُنتج النَّص والتي تتعارض بالطبع هنا مع ثقافة المجتمع الأبوي الذكوري الذي يشغل فيه الذكر دور المركز.، فمثلما هو واضح في فقرات الوصيَّة السابقة أن هدف الأم ترقية قيمة الأنثى/الابنة ودعمها لِتتصدَّر المركز والتقويض من الهيمنة الذكورية.

(ب) **نسق المجتمع**: ويُمثِّله الاعتقاد الراسخ في نفوس أفراده بأن الوصيَّة ممارسة وعظية موجَّهة لرأب السقوط والتداعي الأخلاقي الذي قد ينزلق فيه الفرد عامة والمرأة خاصة، أو بمعنى آخر إن ثقافة المجتمع لا تُحبِّذ الوصية في غير موضعها، وفي الوقت نفسه تنحاز تلك الثقافة إلى إمكانية الاستغناء عنها وتركها حال استقامة المُرسَل إليه/المُستقبِل وهي هنا (الابنة) لفرط أدبها؛ لكن الأم تجعل من الوصية سلاحًا فكريًا يحمل مُضمراتٍ ثقافية مُضمرة من شأنها التعزيز من السلطة الأنثوية وجعل المرأة قوة مركزية تقوى وتهيمن في خفاء دون المواجهة المباشرة أو التصادم مع السلطة الذكورية.

تحمل وصية الأم في قولها (إن الوصية لو تركت لفضل أدبٍ، تركت لذلك منكِ) دلالة مُراوغة تهدف للسعي نحو المركز، فالابنة تتمتع بقدرٍ عالٍ من القِيم الأخلاقية يُعزِّز من فُرص التَّسيّد والهيمنة على الزوج في حياتها ولا

---

١ – أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تحق: د/ عبد الجميد الترحيني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ٧/٨٩– ٩٠. /د: أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج١، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ص ١٤٥.

حاجة لها للوصية هذا أولًا، ولو افترضنا جدلًا أن الوصية لا يحتاج إليها ذو أدب فالابنة أحرى أن تتخلَّى عنها، وتصبح الفتاة حينها شاهدة على ثقافة المجتمع باعتبارها نموذجًا وقدوة مع استمرار انزواء نسق الفحولة الذكوري وتغييبه بعيدًا عن المشهد، وفي مقابل هذا الانزواء صارت الابنة نمطًا برهانيا لثقافة المجتمع الذي يُقدِّر قيمة الأدب التي تتَّصف بها الابنة، وهذا يعني خلخلة في المُتعارف عليه ثقافيًا، فقد اعتدنا أن يكون الذكر هو موضع الشاهد والممثِّل لقيم المجتمع، أو بمعنى آخر الذكر هو صورة المجتمع وصوته، ويأتي أسلوب الشرط في قولها: (لو تركت لفضل .. لتركت لذلك منك) لِيعزِّز من مكانة الابنة الاجتماعية، ويجعلها أكثر تهيئة وتَقبُّلًا للنصيحة، إضافة لما تحمله أداة الشرط من حجةٍ إقناعية تتمثَّل في صحة النتائج التي تؤكِّد بها الأم رأيها في ابنتها.

(ج) **نسق الفرد:** وينحاز إلى نسق القيمة في الهدف، وتُمثِّله الابنة باعتبارها نموذجًا حيًا للنسق الأنثوي السَّاعي للهيمنة والتَّملُّك، وأهم ما يُميز هذا النَّسق ثقافة تضخيم الذات التي تحملها عبارات الوصيَّة، (لو أن الوصية تركت لفضل أدبٍ، تركت لذلك منكِ) يلاحظ هنا مدى هيمنة ثقافة الذات الأنثوية التي أصبحت مثالًا ونموذجًا يُحتذى به في المجتمع، ثم يُعضِّد قول الأم (ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل) من تلك الثقافة لكيلا يُساء الفهم بأن الوصيَّة تحمل بعضًا من القهر لها، أو فرضًا للوصاية عليها. فقد عمدت الأم إلى تشكيل وعي الابنة عبر الانفتاح الثقافي واطلاعها على تقاليد وعادات المجتمع لمواجهة المحدودية الفكرية الملازمة للابنة حتى تقوم بدورها القيادي كزوجة بنجاح.

وتستمرُّ بنية المراوغة ملازمة لفقرات الوصيَّة في قولها (ولو أن امرأةً استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، لكنت أغنى الناس عنه. ولكن النساء للرجال خلقن، ولهنَّ خلق الرجالُ) فالفقرة تحمل نسقين ثقافيين أحدهما افتراضي والآخر واقعي، وكلاهما يسعى لاقتناص مركز الهيمنة لصالح الأنثى، فالأول يغدو فيه الزوج مُهمَّشًا بسبب ثراء الوالدين ولا حاجة للزوجة له، كما أن اقتصار منزلة الزوج على الناحية الماديَّة فقط يحمل استلابًا واضحًا وانتقاصًا لدوره، أمَّا النسق الآخر الواقعي ذو الدلالة الصريحة التي تحملها الجملة النحوية (ولكن النساء للرجال خلقن، ولهنَّ خلق الرجالُ) فهو مُعينٌ للسعي حول فكرة التمركز، وسبيل لتحقيق فكرة الهيمنة التي تحرص عليها الأم لابنتها، حقًا إن الشِّقِّ الأول من الجملة يتضمَّن مصلحة ذكورية تُعزِّز من قوة الذكر وينطلق من ثقافة راسخة تغدو فيها الأنثى مصدرًا من مصادر إمتاع الرجل؛ بينما تأتي تتمَّة الجملة لِتضعهما سواء جنبًا إلى جنبٍ، فلهنَّ خُلِقَ الرجال بل إن تحقق مصلحة الأنثى تعلو وتفوق حاجة الرجال في هذا السياق، فدواعي القيادة وتصريف الأمور في الحياة الزوجية من قِبَل الابنة تتطلَّب قدرًا من الاستقامة والاعتدال الخُلقي والاستقرار العاطفي، ولن يتحقَّق لها ذلك إلَّا عن طريق الزواج الذي صار لديها نسقًا من أنساق الملكية الفاعلة، فبالرّغم من فطرة الأم إلَّا أنها تعي جيدًا حدود الذات الأُنثوية التي لا تستطيع الاستغناء عن الزواج باعتباره مظهرًا من مظاهر العفَّة، ويُمكن توضيح ذلك النسق المضمر بين طرفي الصراع عبر التخطيط التالي:

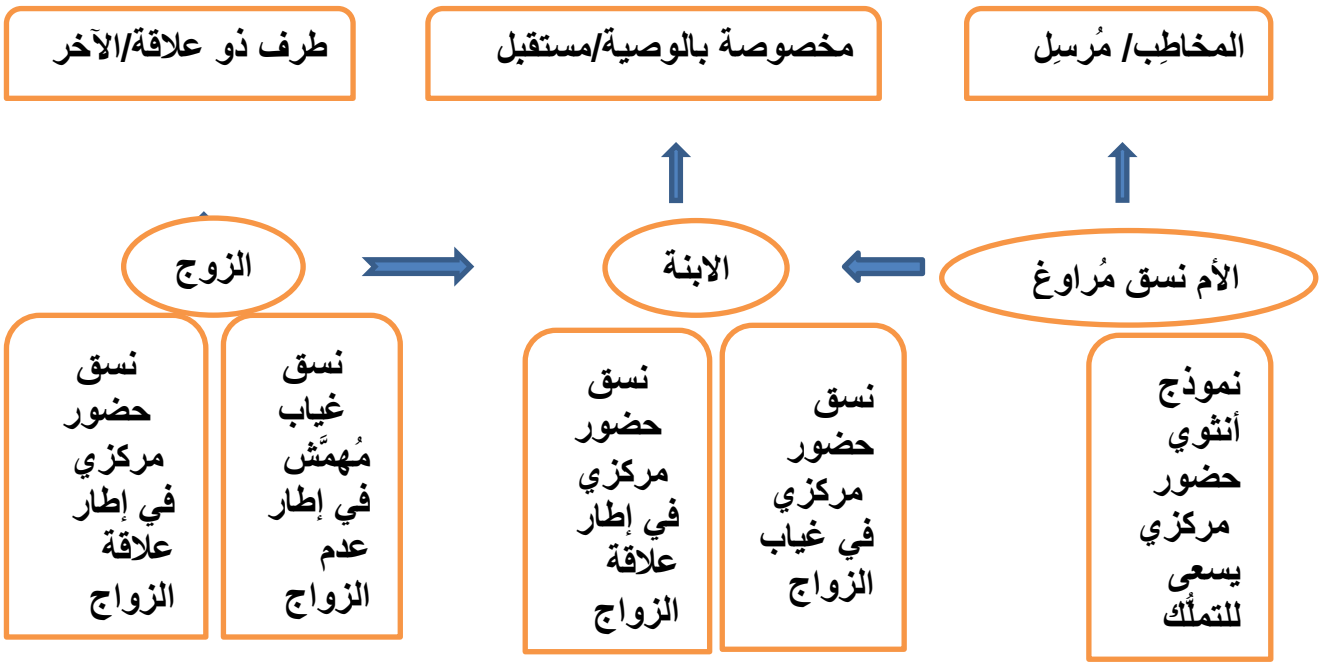

يوضّح المخطط السابق هيمنة النَّسق الأنثوي مُتمثلًا في الأم والابنة، فهذا النَّسق يسعى نحو الصدارة في مقابل النَّسق الذكوري الذي لا يشغل المركز إلَّا مرة واحدة وفقًا لغريزة الجنس التي تحكم العلاقة بين الزوجين.

٢- تحوُّل المكان/ثبات الذَّات:

مارس المكان سلطته في تشكيل صورة الذَّات وتحولها في خطاب المرأة الثقافي؛ وذلك لاختلاف الإحساس عند الانتقال من فضاء مكاني لآخر، فقد شهد المكان الأول في وصية (أمامة) السابقة حضور الذات الأنثوية متمثلة في الابنة فاعلة وذات تأثير في منزل الأسرة في ظلِّ كنف الوالدين ورعايتهما خاصةً من قِبَل الأم؛ لكن تغيُّر المكان وانتقال الابنة إلى بيت الزوجية ربما يحدُّ من هذه السلطة ويقوِّضها بسبب تأثير فكرة الجنوسة، ومن يُمعن النظر في دلالات عبارات الأم الوعظية (إنك فارقت الجو الذي منه خرجتِ، وخلَّفت العُشَّ الذي فيه درجتِ، إلى وكرٍ لم تعرفيه) يلحظ هذا النسق المُضمر الذي يحمل تنبيها واضحًا بل تحذيرًا للابنة لكي تستعدَّ وتتسلَّح بكلِّ ما يُخلخل تلك الهيمنة الذكورية ، وذلك باعترافها في قولها: (وقرينٍ لم تألفيهِ. فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أَمَةً يكن لك عبداً وشيكاً).

لقد أسهم التَّحول المكاني إلى بيت الزوجية دوره الواضح في الكشف عن نسقٍ فحولي مُضمر مُتسلِّط متمثل في الزوج الذي استمدَّ شرعيته من تلك الثقافة المُتجذِّرة التي تؤكد تبعية المرأة له، وصار هذا الأمر بمثابة حقيقة أقرَّها الوعي الثقافي الجمعي، فمن تلك المضمرات المصاحبة لنسق المكان الثقافي (بيت الزوجية) فكرة الرقيب والمالك تلك الفكرة التي تسعى لاقتناص الهيمنة الذكورية المطلقة وممارستها على النساء وتمرير الزعم القائل بأن الرجل هو الأصل وأن المرأة تابعٌ وإرثٌ له، وهذا ما يتراءى واضحًا في التعبير الكنائي في قولها: (فأَصْبَحَ بمُلْكِهِ عَلَيْكِ رَقِيباً، ومَلِيْكاً) الذي يتجاوز في معناه مفهوم قِوامة الرجل على الزوجة.

وقد ظهر صدى هذه الثقافة كامناً في اللاوعي في ثقافة الفكر النسوي القديم، وما وصل إلينا عن قصة (أم عقبة زوجة غسَّان بن جهضم) التي أقبلت على الزواج من بعد وفاة زوجها فأصابتها لعنة الزوج المتوفَّى في المنام، ودفعتها إلى الانتحار، وهذا ما يصفه المقتبس التالي من الخبر ".. ثم طالت عليها الأيام، فقالت: من مات فقد فات، وتزوَّجت من أحد خطَّابها وقبل دخوله بها رأت زوجها الأول في المنام يعاتبها في شعرٍ، فانتبهت مرتاعة وأخذت مدية فذبحت نفسها"([1]).

وبالرَّغم من هذه الثقافة المتوارثة والعلاقة غير التصالحية في إطار التمايز الجنسي الكامن في الوصية يُلاحظ وجود نسق مُضمر آخر يسعى لتقويض النَّسق الفحولي، وينهض هذا النسق عبر ملامح المراوغة، وما أقصده بالمراوغة هنا سُرعة التحوُّل من موقفٍ لآخر، أو تحاشي المقصود المباشر الصريح من التصرفَّات والأقوال للتوجه للمُضمر المقصود من الخطاب وهو (رغبة الأنثى في التملُّك)، وهذا ما تسعى إليه الأم وتحاول تلقينه للابنة، فنحن أمام دلالة نسقية مُضمرة أبدعتها ثقافة الأنثى/الأم، وهذه الدلالة تناهض الدلالة النَّصية الصريحة التي تحملها دعوة الأم لابنتها للخضوع والخنوع للزوج في قولها (فكوني له أَمَةً) فمن خلال هذا القول يتراءى نسق اللين والضعف من قِبَل الأُنثى التي تشغل الهامش، بيد أن النَّسق المُضمر يكشف عن الصراع الناشب حول المركز لتصير الهيمنة في نهاية الأمر بيد الأنثى عبر ذلك النَّسق.

فقد عرَّفت الأم الابنة بذكائها كيف تملك الرجل وتجعله مُطيعًا لها ولا يعصي لها أمرًا عبر قولها (يكن لك عبداً وشيكًا) وتصير هي المُمثلة للنسق الفحولي بعد أن يُصبح الزوج عبدًا لها، فالخضوع الأنثوي الظاهر في حقيقته ما هو إلَّا مَعبَر وسبيل لامتلاك الزوج والتقويض من سلطته، وهذا التوجُّه مُعدٌّ له بإحكام وتخطيط واعٍ يُنبئ عن فطنة وذكاء المرأة في استراتيجية التعامل مع الزوج؛ حيث إن خضوعها له لا يتجاوز الإجلال والإعظام له وتقديم الطاعة والولاء ظاهريا، بينما يترتب على خضوع الزوج تحقق انتقال الهيمنة كاملة لها، ويُعزِّز من هذه السلطة الممارسات الترويضية التي تقوم بها النساء لجذب الرجال، ويذكِّرنا هذا التبادل السلطوي واللعب بالأدوار بما طرحه (كارل يوج) العالم النفساني في نظريته عن الأنيموس (animus) ويُقصَد به الضمير الذكوري داخل المرأة، وهو مفهوم يقوم على فكرة أن الأنثى تنطوي في داخلها على ذكورة مثلما أن الرجل يتضمَّن في داخله أنوثة هي الأنيما (anima) وبالتالي فإن الإنسان مزدوج الجنسية، وتكمن هذه الثنائية في اللاشعور"([2]) كما تُعضِّد الصورة البلاغية عبر المجاز (التشبيه البليغ) في نصيحة الأم لابنتها في قولها (فكوني له أَمَةً يكن لك عبداً وشيكًا) من مقاصد خطاب المرأة المُضمَر، فالمقصود من القول التشبيه العادي أي (كوني كالأمة، يكن كالعبد) والعدول إلى المجاز يُعزِّز من الكشف عن تلك الدلالة المضمرة الهادفة للتملك الأنثوي، فأمر الأم لها بأن تكون أمة له يترتب عليه تحوُّل الملكية كاملة لها وهذا ما يحمله جواب الطلب (يكن لك)، ولمَّا كان الزوج سيدًا بحكم مكانته الاجتماعية في قبيلته (مركز ثابت أصيل) بينما شغلت الزوجة مركز الهامش وفق الثقافة السائدة فقد عمدت الأم إلى اختيار لفظة (أمة في مقابل عبدًا) ليصير طرفا

---

١ – بشير يموت: شاعرات العرب، مرجع سابق، ص ١٧٨.

٢ – انظر: jug :the Portable jug, ed. By j. Campbell 148 Penguin Books 1982.

القوى الاجتماعية (الزوجة والزوج) متساويين، فعبر هذا العدول ترتّب عليه عدول آخر وتحوّل في مراكز القوى يُمكن توضيحه كالتالي:

عبودية الزوجة (فكوني له أَمَةً) ← السيادة عليه (يكن لك عبداً).

التبعية (له) ← الملكية (لك).

المفعولية (كوني له) ← الفاعلة (يكن لك)

الغائب المُهمَّش/الزوج ← الحاضر المركزي/الزوجة

ويتَّضح مما سبق أن المرأة اعتلت مركزًا مرموقًا من تابعة مهمَّشة بحكم الثقافة السائدة إلى سيِّدة تمارس سلطة؛ بينما تقلَّصت سلطة الزوج وأصبح عبدًا بعدما كان سيدًا، وتستمر آليات الهيمنة الأنثوية عبر بنية المراوغة في فقرات الوصية عبر النَّسق الثالث التالي.

٣- نسق اللين والضعف/ صدارة المركز:

إن الرَّغبة في تحقيق هويَّة المرأة وفقًا لفكرة الجنوسية والسعي نحو المركز قد تسير في إطار من اللين والتظاهر بالضعف دون انتهاك حقِّ الآخر/الزوج أو انتقاصه شيئًا من حقوقه بحيث تصير العلاقة بينهما أقرب في إطار التجاور والمماثلة لا الصراع والمناقضة، امرأة بجوار رجلٍ لا رجل في مقابل امرأة؛ وذلك لأن العلاقة الزوجية تقتضي وجود تنازلات من كلا الزوجين، وفي مثل هذا المجتمع الذي لا يؤمن إلَّا بسطوة الذكر وهيمنته لابد من إظهار اللين والتظاهر بالخضوع التام من قِبَل الأنثى/الزوجة لِتقف في دور المركز بجانب الرجل/الزوج جنبًا إلى جنب في رجلة البحث عن الهوية الأنثوية نظير تقديم فروض الطاعة والولاء له، وهذا ما يتراءى واضحًا في وصايا الأم العشر لابنتها عبر قولها " احملي عنِّي عشر خصالٍ، تكن لك ذخراً وذِكرًا: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة. والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه. فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشمُّ منك إلا طيبَ ريحٍ. والكحلُ أحسنُ الحسنِ الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود. والتعهد لوقت طعامِه، والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارةَ الجوع ملهَبَةٌ، وتنغيصَ النومِ مغضبةٌ"(١)

قد يستشعر البعض خطأً من خلال الدلالة الصريحة في الوصية السابقة الإعلاء من شأن الذكر مطلقًا في مقابل الإحساس بدونية الأنثى وانكسارها أو أن الأم تستعيد تجربتها القهرية من خلال الابنة، تلك التجربة التي استقت منابعها من ثقافة السلطة الاجتماعية المتسلطة متمثلةً في المجتمع الأبوي؛ لكن الدلالة المُضمرة تكشف عن وجهةٍ مُغايرة تتمثَّل في رغبة الأنثى في إثبات الذات وسعيها لإسعاد نفسها في المقام الأول باحتواء الزوج لها ورضاه عنها بدلًا من المواجهة العلنية معه ومزاحمته السلطة في معركةٍ ستنتهي حتمًا بهزيمتها وإذلالها فلابد لها من انتهاج سياسة

١ - جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، مرجع سابق، ص ١٤٥.

اللين والتظاهر بالضعف أمامه في سبيل رحلة السعي نحو صدارة المركز، وتمثِّل هذه النصائح من زاوية أخرى مُقومًا وعلاجًا ناجعًا في مواجهة بطش وهيمنة السلطة الأبوية/الزوج التي تُمثِّل تهديدًا مباشرًا لها. وبالرَّغم من أن الزوج يُمثِّل المحور أو المركز الذي تدور حوله الزوجة في الفقرة السابقة من الوصية؛ إلَّا أن نصائح تلك الأم الحكيمة لابنتها تُقوِّض كثيرًا من مداخل استغلال هذه السلطة الذكورية استغلالًا مُهينًا للابنة في مقابل الاعتراف بوجودها مؤثِّرة ومُهيمنة دون الحاجة إلى المواجهة والصدام معه، وذلك عبر انتهاج النَّسق الثقافي العام في المجتمع دون الانسياق الأعمى لتلك الثقافة بحذافيرها بحيث تنبثق مجموعة من الأنساق الثقافية الفرعية المضمرة التي تُعزِّز من قيمة الزوجة، بعضها ذو قيمة جمالية تبعث على الإغراء، والآخر ذو قيمة اجتماعية تهدف إلى بناء وتقويم الأسرة، فثقافة الأم في بعض فقرات الوصية السابقة مثل قولها (فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشمُّ منك إلا أطيبَ ريحٍ. والكحلُ أحسنُ الحسنِ الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود) تنطلق من حكمة نطق بها (ابن القيِّم) مؤخَّرًا (أن الملل للمستحسن قد يقع، وكيف للمكروه؟).

ويُستخلَص من هذا ضرورة الحرص على الزوج الذي تستقي من خلاله الزوجة صدارتها للمركز، فالزوجة هنا تُمثِّل نسق الموضوع لِتصبح موضع الانفعال لا الفعل وبعدها تنهض لتشغل نسق الذات فتصبح فاعلة، فلابد من استرضائه والابتعاد عن كلِّ ما يتسبب في مللِه، فإن هي أثارت حفيظته بسوء المعاشرة تركها، وكان هذا أدعى للبحث عن غيرها وحتمًا سيجدها؛ بينما هي قد لا تجد من يُقدم عليها وستظل حينها نموذجًا سلبيًا للزوجة الفاشلة وفق ثقافة المجتمع السائدة. فالأنساق الجمالية المُضمرة التي لفتت الأم انتباه الابنة إليها مثَّلت دورًا مؤثِّرًا في تمكين وممارسة الهيمنة الأنثوية على الزوج، ويُمكن توضيح ذلك التأثير عبر التخطيط التالي:

أنساق فرعية جمالية ← التزيُّن بالقناعة وحُسن الطاعة ← زيادة حبّ الزوج وولاؤه لها
أنساق فرعية جمالية ← قوة الحياة الزوجية ← حضور مركزي مشترك للزوجين.
أنساق فرعية جمالية ← جمال الزوجة وتزيُّنها لزوجها ← محور اتِّصال العلاقة الزوجية،
أنساق فرعية جمالية ← سعادة زوجية ← الزوجة مؤثِّرة ← الزوجة نسق مركزي.
أنساق فرعية جمالية ← التَّطيب والتَّكحل ← انجذاب الزوج وتهييج شهوته
أنساق فرعية جمالية ← رغبة جنسية وعلاقة حميمة بين الزوجين ← الزوجة عنصر إيجاب ونسق مركزي

يُلاحظ من الخطاطة السابقة أن المحاور التي تتضمَّنها الأنساق الفرعية تؤسس لفكرة الهيمنة الأنثوية من خلال الخطاب المُضمَر لا الصريح للتقليص من الهيمنة الذكورية عبر " وظيفة المراوغة بكل ما في هذه الكلمة من إخفاء الحقيقة والتكنية عن الرغبات الصريحة والتخفي والتستر لبلوغ الهدف، لأنها تضمر ما كان يجب أن تصرِّح به وتبقي عليه في علاقة حميمة بينها وبين نصِّها"(١)

١ – نور الهدى باديس: دراسات في الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ١٤٣.

ومثلما كانت هناك محاور جمالية عزَّزت من رغبة المرأة في التملُّك في وصايا الأم السابقة، فإن هناك محاور أخرى اجتماعية أشارت إليها في الوصايا التالية من شأنها القيام بتلك الوظيفة، ولكي يقوم نسق الشخصية الاجتماعية متمثلًا في الأم أو الابنة بدوره لابد أن يتماثل نسق الثقافة المجتمعية مع نسق الدوافع والمؤثرات التي تنطلق منها تلك الشخصية ومع النَّسق الاجتماعي باعتباره " وحدة اجتماعية ضمن نظام اجتماعي تؤدي وظيفة ضمن شبكة معقدة يهدف أطرافها إلى تحقيق التكافل والاستقرار في المجتمع"([1])

ويتجلَّى هذا النسق الاجتماعي واضحًا في فقرات الوصية التالية (والاحتفاظ ببيته وماله، والإرغاءُ على العيالِ والحَشَمِ حُسنُ التدبير، ولا تفشي له سرًا، ولا تعصي له في حال أمرًا؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدرَهُ، وإن عصيت أمرَه أوغرتِ صدره. ثم اتقي يا بنية الفرح لديه إذا كان تَرِحًا، والاكتئابَ عنده إذا كان فَرِحًا، فإن الخَصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا يكن أشد ما يكون لك إكرامًا. وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة. واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببتِ وكرهتِ، والله يَخير لكِ).

فقد أرادت الأم بما تتَّسم به من ثقافة فردية للابنة أن تتحوّل إلى نسق اجتماعي متميز يضمن لها تأثير اجتماعي وفاعلية إيجابية تُقرِّبها من المركز، وتلك الفاعلية وهذا التأثير يسيران وفق آليات ونزعات خفية مُضمرة تهدف إلى تحقيق الهوية الأنثوية وبلوغ المركز، وذلك من خلال فن التواصل الاجتماعي وحُسن التعامل مع الزوج عبر الوسائط التربوية التالية:

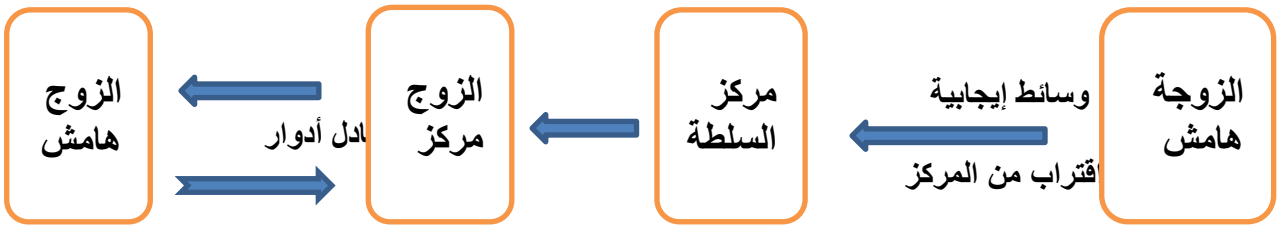

يُلاحظ من التخطيط السابق أن نسق التَّملك المُضمَر لا يتوجَّه بصورة مباشرة للزوجة في سبيل سعيها للمركز؛ وإنما يُركِّز على الأفعال والصفات التي من شأنها مواجهة نسق الفحولة عبر المُهادنة وسياسة اللين التي تؤهِّلها على الأقل للوقوف جنبًا إلى جنب بجوار الزوج لتقاسمه السلطة والمسئولية في رعاية الأولاد والخدم وعدم عصيان أوامره، وعدم إفشاء أسراره، ومراعاة حالة زوجها الشعورية، والحرص على راحته في نومه، وإعداد طعامه في الوقت المناسب .. إلخ. كما يُلاحظ تبادل الأدور بين الزوجين ففي الوقت الذي تسعى فيه الزوجة للمركز

1 – Macionis, John J. (2012). Sociology 14 th Edition. Boston: Pearson. p:11 ISBN 978-0-205-11671-3 .

وانتزاعه من سلطة الزوج "سيرتدُّ المركز إلى هامش، فهو مركز ولا مركز؛ لأنه هامش، وهو هامش ولا هامش؛ لأنه مركز، فهو في آنٍ واحد مركز وهامش، وفي اللحظة ذاتها لا مركز ولا هامش"(١)

وهكذا استطاعت الأم من خلال الوصية باعتبارها نموذج اتِّصالي مهم يحمل أنساق ثقافية مضمرة لا تهدف إلى تعزيز منزلة الابنة في بيت الزوجية فحسب وإنما تسعى لتقويض سلطة الزوج وعدم انفراد النَّسق الذكوري بالقيادة، وقد اتَّسم خطاب المرأة/الأم في الوصية السابقة بالمراوغة والتكنية والتَّستر عن الهدف المنشود منها مثلما لاحظنا في التحليل السابق.

ثانيًا النموذج التطبيقي الشعري:

وهو نصٌّ شعري قصير لـــ (أم ثَواب الهِزّانية) شاعرة جاهلية عقَّها ولدها فأنشدت في ذلك شعرا تؤنبه على عقوقه قائلةً: (٢)

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثلُ الفَرْخِ أعْظَـــمُهُ ... أُمُّ الطَّعامِ ترَى في جِلْدِهِ زَغَبا

حتى إذَا آض كَالفُحَّالِ شَذَّبَهُ ... أبّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الكَرَبا

أنْشَا يُمزِّقُ أثْوَابي يُؤَدِّبُنِي ... أبَعْدَ ستين عِنْدِي يَبْتَغِي الأَدَبَا

إنّي لأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لَـــمَّتِهِ ... وَخَطٌّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا

قالت له عِرْسُه يومًا لتُسمعَني ... رِفقًا فإن لنا في أمِّنا أرَبا

ولو رأتنيَ في نارٍ مسعَّرةٍ ... منَ الجحِيم لزادت فوقها حطبا

تأتي أبيات (أم ثَواب الهِزّانية) الشعرية السابقة نموذجًا نسويًا واضحًا يحمل نسقًا مُضمرًا ينهض على دحض الفحولة الذكورية عبر رَغبة التَّملك والهيمنة (تملُّك الابن) باعتباره مُمثِّل لتلك الفحولة في صراع (الأم والابنة) أو تملُّك الزوج في سياق الصراع القائم بين (الحماة والكَنَّةُ)/ زوجة الابن، ويشغل الابن/الزوج مركز التوسّط (الهامش) في هذا الصراع الأنثوي وإن بدا الابن في رأي الشاعرة ميالًا للزوجة مُنكرًا لفضل الأم لِتندرج أبياتها تلك وتُوظَّف ضمن أدب العقوق أو أدب الشكوى من الشَّيب – إن جازت التَّسمية – ويتطابق هذا القول مع وصف (البرقوقي)

---

١ – محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات، المركز الثقافي العربي، المغرب ، لبنان، ط1 ،٢٠٠٢م ، ص ١٩٠.

٢ – أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مصدر سابق، ج١ ص١٩٢.

للأبيات في الذخائر والعبقريات بقوله: "هذه أبيات من شعر الفطرة، تصف في دقةٍ حالَ الابن العاق يكون ضلعُه وهَواه مع زَوْجه على أمِّه، وكذلك تصفُ ذلك العداء القديمَ بين الكَنَّةِ وحَماتِها"([1])

ولمَّا كان النقد الثقافي يتناول دراسة" الأدب الجمالي ليس باعتباره نصا بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر أكثر مما تعلن"([2]) فقد جاء اهتمام الباحثة بالحديث عمَّا هو مُضمَر في الأبيات السابقة، فخطاب الأم يعكس نسقين ثقافيين أحدهما مُعلَن يتمثَّل في مرارة شعور الأم بعقوق الابن وجحوده لها، والآخر مُستبطَن يهدف إلى المحافظة على الاحتفاظ بالمركز واستمرار نزعة التملّك للابن والهيمنة عليه باعتبارها صاحبة الحق الأصيل في ذلك، ليقف النسقان موقف الضدّ الذي يُسهم في الكشف عن فكر وثقافة الذات الشاعرة والوظيفة النسقية المضمرة المتضمَّنة، ويتولَّد عن هذه الثنائية الضدية صراع بين أنساق فرعية متضادة منبثقة عن ذلك النَّسق المُضمر تُمثِّل الدوافع الحقيقية للرغبة في التملُّك بين طرفي الصراع الأم من جهة والابن وزوجته من جهة أخرى، ويُمكن حصرها في النقاط التالية:

١- حضور الذات وغيابها بين الماضي/الحاضر:

أتت رغبة الشاعرة قوية في استعادة أحداث الزمن الماضي عبر تقنية الفلاش باك، لأن هذا الارتداد يأتي بمثابة آلية مؤثِّرة لمواجهة انعكاسات الحاضر السلبية بعد تزحزحها عن مركز السلطة في دائرة الصراع بينها وبين الابن من جهة وبينها وبين الكُنَّة (زوجة الابن) من جهة أخرى، فاستدعت الذات من ذاكرة الماضي الأفعال التي تدلُّ على صدارتها للمركز التي تؤكِّد فاعليتها والشعور بامتلاكها للابن في مقابل رصد صورة الآخر المهمَّش/الابن، تلك الصورة التي تُظهر ضعفه في إطار علاقة الارتباط الأسري الحتمي بينهما قبل أن يصير شابًا قويًا، ومن خلال ثنائية "القوة والضعف" تتولَّد جدلية الحضور والغياب، أو السيطرة والخضوع، وهذا ما يُجسِّده البيت الأول عبر الشكل التالي:

ربَّيته ← فعل يفيد التَّحقق ← الإرادة وحرية التَّصرّف ← الأم ذات مالكة.

الأم في اعتنائها بولدها = الأبَّار (المُصلح للنخيل) ← الأم ذات مُهيمنة.

الابن = فرخ طائر ريشه صغير ← ضعف بنية ولِين ← الابن ذات مملوكة.

تعكس تلك العلاقة السابقة بين الأم والابن في مرحلة نشأته الأولى نزعة التملُّك من خلال دور الأم المُسيطر، فهي التي تتولَّى التربية والاعتناء ويعود الفضل إليها في حُسن التهذيب، فالأم في الماضي تُمثِّل نسق إيجابي له القدرة

---

١ – عبد الرحمن البرقوقي: الذخائر والعبقريات، ط١، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ج١، ١٩٩٨م، ص١٩.

٢ – جميل حمداوي، مقال نقدي بعنوان النقد الثقافي بين المعرفة والسندان، http://www.diwanalqrab.com

على الامتلاك باعتبارها زوجة مُربية أو أمٍّ عطوف أو امرأة ذات وعي وثقافة تُمكِّنها من صدارة المركز، فهي نسق ثقافي أنثوى يرى أن من حقِّه امتلاك مراكز الهيمنة والاستحواذ والسيطرة لدوافع اجتماعية ونفسية سيأتي الحديث عنها.

وقد جاء التعبير بالصورة من خلال اللغة الشعرية أحد الوسائل الكاشفة للصراع حول تلك الرَّغبة الجامحة (التَّملك) عبر ثقافية العين التي تقف أمام صورتين تحملان مفارقة واضحة، الأولى يتجلَّى فيها العجز التام واضحًا في صورة الابن الصغير الذي يُشبه الفرخ في رخاوته وهوانه، أعظم ما يُرى فيه معدته، ومن ثمَّ فإن حياته مرهونة بشفقة الأم وعطفها عليه، فهي مصدر القوت وسبب الحياة، أمَّا الصورة المرئية الأخرى فيطلُّ منها ملمح القوة متمثلا في صورة الابن اليافع بعدما كبُرَ واكتمل نضجه وأصبح مثل (فحل النخل) في ارتفاعه واعتداله وقوة بنيانه، ومع ذلك فهو بحاجة ماسَّة إلى التَّهذيب والتقويم مثلما يفعل مُصلح النخل (الأبَّار) حينما يزيل الأشواك والسعف اليابس منها لِتستمر في الطول، وكذلك تمثَّل دور الأم في حُسن الاعتناء بولدها، وكأن الأم تؤكِّد على استمرارية دورها المؤثِّر في حياة الابن حتى بعد أن أصبح فحلًا.

ويأتي حرص الأم الشديد على فرض الوصاية على الابن والاستئثار به؛ لأن الابن بالرِّغم من صغره يُمثِّل مصدر اطمئنان لها ويضمن لها وجودًا فاعلًا في الحياة بعدما أحسَّت أن نضرة الشباب قد ذبلت وملامح الشيب قد حلَّت، ووجود الابن يُعوِّضها صراع الماضي في ظلِّ وجود سلطة أبيه الذكورية سواء أكان موجودًا على قيد الحياة أم راحلًا عنها، فوجود الابن كسلطة ذكورية في أحضان الأم وخضوعه لهيمنتها يُعدُّ انتصارًا لها ومُبدِّدًا للصراع الناشب بينهما في حالة وجود الأب، ومؤنسًا لها في حال غيابه، والخطر الحقيقي الذي يُهدِّد هذا الشعور بالأمن من قِبَل الأم هو ظهور الكُنَّة في حياة الابن التي تسعى لامتلاك الزوج ونزع الهيمنة من الأم.

٢- الصراع نحو المركزية/ انتصار الزمن(الشيب):

يُشكِّل الزمن عامة دورًا مُهمًا في كينونة الصراع الدائر بين الإنسان وغيره من البشر أو بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان ونفسه، ومن تمظهرات الزمن التي تشكل خيوط هذا الصراع: الموت، والطلل باعتباره نسق زمكاني، والقدر، والشيخوخة/الشيب، ويُعدُّ الأخير نسقًا ثقافيا بارزًا من أنساق صراع الإنسان مع الزمن في الشعر القديم معظمه وفي الثقافة الإنسانية باعتباره " نسقًا علاميًا دالًا على تحوُّل ما يطرأ على حياة الإنسان، ومظهرًا بارزًا يُشئ بعبور الإنسان من مرحلة الحيوية وامتلاء الذات إلى مرحلة يحسُّ فيها بعقدة السّلب وهاجس الغياب"([1]) وهذا الحضور الفاعل لقوة الشيب يتمثَّل في النَّسق المضمر الذي يحمله قول الشاعرة:

حتى إذَا آض كَالفُحَّالِ شَذَّبَهُ أبّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الكَرَبا

---

١ - د/يوسف عليمات: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجًا المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠٠٤، ص ١٧٢.

أنْشَا يُمزّقُ أثْوَابي يُؤَدِّبُنِي　　　　　　أبَعْدَ ستين عِنْدِي يَبْتَغي الأَدَبَا

يُمثِّل الشيب في البيت السابق نسق الحاضر المضمر الذي تعيشه الأم، ذلك النَّسق غير المتآلف مع ما اعتادت عليه من نفوذ في السابق في مقابل فقدانها لمركزيتها وانعدام هيمنتها على الابن في الحاضر بعد ظهور الكُنَّة (زوجة الابن) في حياته والذي ترتَّب عليه الشعور بالغيرة بين الأنثيين " فالأم التي قامت بتربية ابنها ورعايته في طفولته وشبابه وولعت به، ترتاع حين ترى امرأة غريبة تنتزعه منها ويدفعه حبها إلى مطاوعتها وتقديم هواها على هوى أمه. ثم إن الأم ترى في كنَّتها الشباب الذي ذوى والحُسن الذي غربت شمسه، فيثير في نفسها الشعور بالحسد ويدفعها الحسد إلى التَّرفع على كنَّتها"([1]) ذلك الشعور بالعجز والضعف أمام الشيب والشعور بالقلق من الموت جعلها تتحسَّر وتستنكر فعل العقوق من ولدها وسوء أدبه معها عبر أسلوب الاستفهام في قولها (أبعد ستِّين عندي يبتغي الأدبا؟) بعدما تبدَّلت مراكز القوة بينهما، ويمكن توضيح ذلك عبر التخطيط التالي:

الماضي ←
- الأم نسق مركزي مهيمن صاحبة العناية والاهتمام بولدها،
- نسق تملُّك، الأم قوة فاعلة.
- الابن نسق هامشي يستمد قوته من الأم.

الحاضر ←
- الشيب (انهزام) ← سلب الهيمنة ← الأم نسق هامشي.
- صراع الأنساق وتبادل مراكز القوى بين الأم والابن.
- الابن ← فحل ← مصدر قوة ← نسق مركزي.

إن شعور الأم بافتقاد الابن وعدم السيطرة يعني فقدانها للسُلطة بل للوجود المعنوي والمادي، والإحساس بانعدام الوجود المعنوي مصدره الشعور بالقلق والتوجّس من اقتراب الأجل الذي يُعدُّ فيه الشيب أحد علامات اقترابه ونذيرًا لوقوعه بينما يتمثَّل فقدان الوجود المادي بانعدام قراراتها وتضييق الطوق عليها من قِبَل الكُنَّة أو من ابنها الذي يؤثر زوجته عليها.

٣- دافع الحرمان الجنسي وغريزة التملّك/صراع الكُنَّة:

يُعدُّ الحرمان من الجنس باعتباره غريزة مستترة داخل كلِّ أنثى - وليس هدفًا لممارسة الرَّغبة - من أهم الأنساق الثقافية المضمرة التي دفعت الأم إلى غريزة تملُّك الابن في حلبة الصراع المستمر مع الكُنَّة، وهذا ما تكشف عنه الأبيات التالية:

إنّي لأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لَــمَّتِهِ　　　　　وَخَطِّ لِحيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا

قالت له عِرسُه يومًا لتُسمعَني　　　　　رِفقًا فإن لنا في أمّنا أرَبا

---

١ - د/عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤، ص ٢١٥.

ولو رأتنيَ في نارٍ مسعَّرةٍ منَ الجحيم لزادت فوقها حطبا

يكشف البيت الأول عن شعور الأم بالإعجاب الخِلقي بابنها وحُسن صورته بعدما صار شابًا يافعًا يعتني بنفسه ويُهذِّب لحيته ويُرجِّل شَعْره، فقد غدا الابن في نظرها نموذجًا للفحولة البديلة المفتقدة/الغائبة، ودلالة الفعل المضارع في سياق التوكيد في قولها (إنِّي لأبصرُ) يؤكِّد هذا الشعور ويدلُّ على سعادتها وإعجابها بابنها منذ أن كان فرخًا صغيرًا إلى أن صار رجلًا نضيرًا.

ولِذا يأتي حرص الأم بشدة على امتلاكه، فوجوده يُغلق ثغرة الحرمان الاجتماعي والنفسي والعاطفي في إطار فكرة (تهيب/تحريم سفاح القربى) التي ذكرها (سيغموند فرويد) في إطار تحليله لهذه الظاهرة عند بعض الشعوب، وطبقًا لِدراسة نفسية أجراها أقرَّ بأن مؤسسة الزواج تتولَّى إشباع الغريزة الجنسية النَّفسية للمرأة، لكن قد " يتهدَّد هذه الحاجات دائمًا خطر اللاإرضاء عن طريق الانقطاع السابق لأوانه للصلة الزوجية والجمود في حياتها العاطفية، والأم المتقدمة في السنِّ تقي نفسها من هذه الحالة من خلال الشعور بمشاعر أولادها، التماثل معهم، بأن تجعل من تجاربهم العاطفية تجارب لها أيضًا .. هذا بالفعل من أثمن المكاسب التي يجنيها الأهل من أولادهم"([1])

فهذا الشعور القوي بالارتباط بابنها الذي كشفت عنه الأبيات السابقة هو التعويض الحقيقي لغياب السَّند الاجتماعي وبمثابة مصدر اطمئنان لها في الحياة ، إضافة إلى فكرة الشعور بالملكية التي تمنحها قيمة حبّ الحياة وقيمة الوجود، وبظهور الكنَّة بجوار حماتها في بيت واحد يبدأ صِراع التنافس ومحاولة الاستئثار بالابن/الزوج، وتتبدَّد آمال الأم في الاستحواذ والسيطرة على الابن بينما تستمر رغبة الزوجة في انتزاع السلطة من قبضة الحماة/الأم.

ويتولَّى البيت الأخير وما قبله الكشف عن حدَّة الصراع القائم بين الأم والزوجة بالرَّغم من حديث الزوجة المعسول وإظهار حُسن الطاعة لها أمام زوجها، فشعور الأم بهذا الحجم الهائل من كراهية زوجة الابن لها سببه رغبة كلتيهما في السيطرة على الابن وفق ثقافتهما وبناء عليه ارتسمت سلوكياتهما. فسلوك الزوجة يتَّسم بالمراوغة بهدف الاستعلاء على الأم وأنها صاحبة الحق في الأمر والنهي، وبإمكانها كفّ الزوج عن تعنيفه إيَّاها وعقابه لها، فتستغلّ هذا الموقف الانهزامي للأم وتؤكِّد لها أنها السيّدة الوحيدة صاحبة القرار في هذا البيت، كما تظهر حِدَّة التوتر في العلاقة غير المتوافقة بين الأم وزوجة الابن عبر المُراوغة التي تنتهجها الزوجة لحسم صراع الهيمنة على الزوج دون مواجهة الأم وجهًا لوجه.

وتقوم لغة الشاعرة بالكشف عن هذا الصراع عبر الثنائيات الضدية التي تحمل أنساقًا مضمرة مثل (قالت/لتسمعني، ضمير الغائب بعد الفعل قالت وكذلك ضمير الغيبة المتصل بكلمة "عرسه"/ ضمير المتكلِّم المُتَّصل بالفعل "تسمعني"، ضمير الجمع المتَّصل بكلمة "لنا" وبكلمة "أمِّنا"/ التنكير في كلمة أربا) فهذه الثنائيات مجتمعة من

---

١ – سيغموند فرويد: الطوطم والتابو، تر: بو علي ياسين، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط١، ١٩٨٣م، ص ٣٨.

شأنها الكشف عن المحتوى الدلالي المضمر الكامن فيها؛ حيث إن اقتران القول منها (قالت) بهدف إسماع الأم يُنبئ عن النِّيَّة غير التصالحية من القول، فالهدف من القول إظهار التَّفضُّل عليها، وما يُضمره القلب شئٌ آخر، ويُستعمَل ضمير الغائب في الكلام عادةً حينما يجد المتحدِّث ضيقًا في ذكر اسم من يتحدَّث عنه، فالأم لم تُطق ذكر اسم كُنَّتها حتى لو كانت في أقصى درجات السعادة الزوجية (ليلة عرسها)؛ لأن عقد قرانها مع الابن يُمثِّل انتزاع الملكية منها وفقد الهيمنة على الابن بل فرض الوصاية عليها، وتستمرُّ الزوجة الماكرة في خِداع الزوج مستخدمةً لغة المراوغة وإظهار اللين والحنان وحُسن أدبها حينما تتحدَّث عن أمِّه، فلم تخاطبه بقولها (فإن لنا في أمك أربًا) بل جعلتها أمًا لها أيضًا بغرض استمالته نحوها وتحييد الأم بعيدًا عنها، كما أن ضمير الجمع المُلحَق بكلمتي "لنا، أمِّنا" يُشير إلى توافقية العلاقة بينهما في مقابل العلاقة العدائية بالطرف الآخر (الأم).

ويحمل العدول في اللفظ في كلمة "أربًا" على صورتها التنكيرية بدلًا من كلمة "خيرًا" نسقًا مضمرًا ساخرًا من الأم ومُستهينًا بها فأي فائدة أو مصلحة تُرتجى من مثل هذه السيدة العجوز، فلو أرادت حقًا الاستفادة من خبراتها في الحياة لاستخدمت الكلمة الثانية المعدول عنها التي تحمل معاني جبر الخاطر، استحسان المعاشرة، الحميمية والألفة، التبرُّك بها .. إلخ.

وقد أحسَّت الأم بهذا الشعور المعادي منها، واستطاعت أن تكشف عمَّا يُضمره قلبها من عداء لها لا يوقف عند حدِّ التَّخلص منها فحسب؛ وإنما يصل إلى ما هو أعنف وأسوأ مصيرًا، وعن بلاغة القول جسَّدت الشاعرة هذا الصراع والعداء مع زوجة الابن عبر تشبيه تصويري بديع حمله بيتها الأخير:

ولو رأتنيَ في نارٍ مسعَّرةٍ منَ الجحِيم لزادت فوقها حطبا

وهكذا بدت العلاقة عدائية بين الحماة (الأم) وزوجة الابن (الكُنَّة) في إطار صراع الهيمنة على الابن/الزوج، وهذا الصِّراع منذ القِدَم ولا يزال، وقد اشتمل نصُّ (أم ثواب الهِزَّانية) على أنساق مُضمرة وقفت دافعًا قويًا خلف هذا الصِّراع، وهذا ما حرصت الدراسة على كشفه وفق رؤية ثقافية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

أولا المصادر:

١. ابن جنِّي: الخصائص، تحق: محمد علي النجَّار، دار الكتب، ١٩٧٥م .
٢. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ، ج١، تحق/ عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م.
٣. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : الكامل في اللغة والأدب، تحق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
٤. أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء في محاسن الشعر وآدابه، تحق/أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م.
٥. أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٧٨م.
٦. أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تحق: د/ عبد الجميد الترحيني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
٧. الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.
٨. محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

ثانيا المراجع العربية:

١. أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل ابن طيفور: بلاغات النساء .. ط١، تحق: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ٢٠٠٨م.، ص ١٢٦.

٢. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج١، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
٣. أحمد علي محمد: الخطاب النسوي ومشكلة السياق الأدبي، شعر الجاهليات نموذجا، مجلة جذور، ج٢٨، مج ١١، ٢٠٠٩م.
٤. بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٣٤م.
٥. جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
٦. شادية علي قناوي: المرأة العربية وفرص الإبداع، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠م.

٧. عبد الرحمن البرقوقي: الذخائر والعبقريات، ط١، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ج١، ١٩٩٨م.
٨. عبد الفتاح أحمـــد يوســـف: قراءة النص وسؤال الثقافة – استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، عالم الكتب الحديث، اربد، جرارا للكتاب العالمي، عمان– الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.
٩. عبد الله محمد الغذامي: المرأة واللغة، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٦م/ : تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م.
١٠.عصام خلف: أدب المرأة العربية، رؤية سيسيولوجية، دار فرحة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
١١.محسن جاسم الموسوي: النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١٢.محمد العباس: سادنات القمر، سرانية النص الشعري الأنثوي، مؤسسة دار الانتشار العربي، لبنان، ٢٠٠٣م.
١٣.محمد جميل بيهم: المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت، ١٩٢١م.
١٤.محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات، المركز الثقافي العربي، المغرب ، لبنان، ط1 ، ٢٠٠٢.
١٥.محمد عزة دروزة: تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، الجزء الخامس، بيروت، د.ط. ١٩٦١م.
١٦.مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج٣، دار الجوزي للطباعة، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٩م.
١٧.يوسف عليمات: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجًا المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠٠٤م.

ثالثا المراجع الأجنبية/ مراجع أجنبية مترجمة:

١. jug the Portable jug, ed. By j. Campbell 148 Penguin Books 1982.
٢. إديث كيرزويل: عصر البنيوية – من ليفي شتراوس الى فوكو، تر: جابر عصفور، آفاق عربية، بغـــداد، العراق، ١٩٨٥م.
٣. دوني كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٧م.
٤. سيغموند فرويد: الطوطم والتابو، تر: بو علي ياسين، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط١، ١٩٨٣م.

رابعًا المجلات :

١. أحمد علي محمد: الخطاب النسوي ومشكلة السياق الأدبي، شعر الجاهليات نموذجا، مجلة جذور، ج٢٨، مج ١١، ٢٠٠٩م.

٢. عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤م.

خامسًا الرسائل الجامعية:

١. إحسان عليوي عبد الحسين عجلان: الصورة في الشعر النسوي الجاهلي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، ٢٠١٧م.

المواقع إليكترونية:

١- جميل حمداوي، مقال نقدي بعنوان النقد الثقافي بين المعرفة والسندان، .http://www.diwanalqrab.com

ملخص

سعت أهداف البحث إلى رصد صوت المرأة الأدبي في بعض نماذجه لتحليل إشكالية رغبتها الشديدة في تملك الذكر وبسط هيمنتها الأنثوية عليه، لتصير الصدارة والفحولة بيد الأنثى، والتقليص من السقف القيمي للذكر بهدف تبادل المواقع والأدوار التي يشغلها الجنسان وفق الثقافة المجتمعية السائدة، كما هدف البحث إلى الكشف عن الدوافع المُضمرة التي وقفت خلف تلك الرَّغبة الأنثوية الساعية للتملُّك وِفق ثنائية (المركز/الهامش) التي تبوأت فيها الذات الأُنثوية دور المركز في النصَّين موضع الدراسة باعتبارها المُشكِّلة للخطاب فيهما بما يحملانه من أنساق مُضمرة تُمكِّنها من تحقيق ذلك الهدف.

وتمثَّل نموذج تلك المرأة في شخصيتين: الأولى (أمامة بنت الحارث) في وصيتها لابنتها (أم إياس)، والثانية تمثَّلت في شخصية (أم ثَواب الهِزّانية) في نصِّها الشعري القصير الذي أنشدته بعد أن عقَّها ولدها، بينما اختصَّ الهامش بالذات الذكورية المعنيَّة بالخطاب وتمثَّلت في شخصية الزوج (الحارث بن عمرو) في وصية (أمامة) والابن العاق في نص (أم ثَواب الهِزّانية).

وجاء النَّقد الثقافي آلية فاعلة لقراءة الأنساق الثقافية المضمرة في النَّصَّين لانفتاحه على مجالات معرفية عديدة واعتماده على آليات وتقنيات إجرائية متعدِّدة مُستقاة من مناهج نقدية سابقة وأدوات معرفية وثقافية مصاحبة، واتَّسمت هذه الأنساق المضمرة بالمراوغة وانفتاح مجالات التأويل وتعدُّد القراءات. وفي نهاية الحديث يُمكن ذكر بعض النتائج التي كشفت عنها الدراسة، من بينها:

١ – حِرصُ المرأة الشديد على إثبات الذات والوقوف على قدر المساواة بجانب الرّجل، وارتفاع صوتها الأنثوي قويًا لِيُعزِّز من تلك الرَّغبة عبر مِنبر الأدب النِّسوي قديمًا.

٢ – تخطَّت المرأة تلك الرغبة (إثبات الذات) إلى محاولات جادة تهدف إلى السيطرة على الرَّجل ودحض الهيمنة الذكورية التي تعمل على تقليص دورها الثقافي والاجتماعي؛ ليتبوَّأ الرمز الأنثوي صدارة المركز أو على الأقل يقف الهامش والمركز على درجة متساوية من الاهتمام.

٣ – وجود نماذج أدبية عديدة: نثرية وشعرية تؤكِّد سبق السلطة الأنثوية وصدارتها بل واختراق اللامألوف عبر شعر الهجاء الأنثوي للذكر أو عبر شعر المساجلات الشعرية بينهما.

Women's literary discourse: the shifts between elusiveness and taking-over

A reading of the cultural norms of women's literature during old ages

The study aims to trace women's literary usage in some of the literary genres to analyses the hypothesis of the women's longing to dominate men and thus taking over the leading role reducing the value of men to switch the roles and positions occupied by the two groups according to the prevailing societal and cultural norms .

The study also aims to uncover the implicit motives that encourage the seeking of female predominance according to the bilateralism (centrality/marginality) where the female assumes her central position as presented in the two texts being examined as they are considered the problem of discourse for including implicit forms that enable her achieving her goal.

The model of that woman is presented in two characters; the first one is ;Omama Bint Al-Harith' in her testament to her daughter 'Omm Iyas' and the second is 'Omm Thawab Al-Hizaneya' in her short poetic discourse composed after her son disobeyed her .

Whereas the margin tackles the males targeted by the discourse presented in the characters of the husband ' Abo Al-Harith Ibn Amr' in Omama's testament and the disobedient son ' in the text of 'Omm Thawab Al-Hizaneya.'

The cultural criticism here becomes an effective mechanism to read the cultural norms embedded in both texts for its exposure to many variable fields of knowledge and as it is based on many procedural mechanisms and techniques extracted from previous critical approaches and knowledge-based and cultural associated tools .

These implicit norms were characterized by elusiveness and the openness of construing approaches and multiple readings.

To conclude, some of the study objectives are mentioned in the following:

1- Women's strong commitment to prove themselves and to be equal to men, and their growing voice that strengthens this aspiration through the female literary voice during the old ages.

2-ً Women have walked the extra mile from just a goal to serious steps that aim to predominate men and deny male dominance that shrinks her cultural and societal role. Therefore, the female role takes over the highest roles or at least the margin becomes equal in importance to the center.

3- Existence of variable literary texts: prose and poetry prove the preceding and leading power of women. Moreover, hitting the unusual through female-to-male satirical poems or through social poems.